

(خطب وعظيه ٧) إعداد فضيلة الشيخ د. فهد بن عبدالله آل طالب

(نوح عليه السلام .. وثمرات الاستغفار)

عباد الله/ هذا خيرُ نبيٍّ كريمٍ من أنبياءِ الله، اصطفاه الله واختاره، (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين)، هو أولُ رسولٍ بُعثَ إلى أهلِ الأرض، سَمَّى اللهُ سورةً باسمه في القرآن، إنه نوحٌ عليه السلام، (سلامٌ على نوح في العالمين) ..

دعا نوحٌ عليه السلام قومه إلى عبادةِ الله وحده لا شريك له، وترك ما كان يعبدُ آبائهم، وَلَبِثَ فِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وكانت له مع قومه أيام، ولقي منهم ما لقي، وهو أحدُ أولي العزم من الرسلِ عليهم الصلاة والسلام.

عباد الله/ ومن خبره عليه السلام ما قصَّه اللهُ تعالى في سورةِ نوح: (قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً * فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً * وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً * ثم إني دعوتهم جهاراً * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً * فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً) نعم، إنه كان غفاراً .. يَغْفِرُ الذنوب، ويستترُ العيوب، ويجبُ أن يغفرَ لعباده، وَيَسْطُرُ يده بالله ليتوبَ مسيءُ النهار، ولو لم تذبوا لذهب اللهُ بكم، ولجاء بقومٍ يُذنبونَ فيستغفرون، فيغفرُ اللهُ تعالى لهم ..

عباد الله/ هذا نوحٌ عليه السلام يدعو قومه إلى الاستغفارِ والتوبة، ويُغريهم بما في ذلك من الخيراتِ والبركاتِ في الدنيا والآخرة، اسمعُ إليه وهو يقول: (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) .. كما قال هوذٌ عليه السلام لقومه: (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم) .. فَمَنْ أَرَادَ الْحِصْبَ وَالْمَالَ وَالْبَنِينَ وَسِعَةَ الْأَرْزَاقِ وَقُوَّةَ الْأَبْدَانِ وَالْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ فَعَلِيهِ بِالْإِسْتِغْفَارِ، (وَمَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَرَجًا، وَمَنْ كَلَّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)،

ولا حَرَجَ على الإنسانِ إذا قَصَدَ بعضَ الفوائدِ الدنيويةِ التي رتبها الله على بعضِ الأعمالِ، بشرطِ أن يكونَ مع ذلكَ يَقْصُدُ وجهَ الله تعالى والدارَ الآخرةَ، لا أن تكون الدنيا هي مقصده ومراده فقط، لأن الله تعالى ما رَتَّبَ هذه الفوائدَ إلا ترغيباً في العملِ، وذلكَ مثلُ من يَذْكُرُ اللهَ يرجو الحفظَ والكلاءةَ، وَيُصَلِّي على النبي صلى الله عليه وسلم يرجو تَفْرِيجَ الهمومِ، ويستغفرُ اللهَ يرجو الرزقَ أو الولدَ، كما نبه إلى ذلكَ أهلُ العلمِ رحمهم الله.

عباد الله/ كان نبيكم محمدٌ صلى الله عليه وسلم يستغفرُ في اليومِ ويتوبُ أكثرَ من مئةِ مرةٍ، وَيَعُدُّ العادُّ له في المجلسِ الواحدِ مئةَ مرةٍ يقول: "رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم". والاستغفارُ طلبُ المغفرةِ من الله، وهو سؤالٌ ودعاءٌ تُرَجَى معه الإجابةُ، وإذا خَرَجَ عن قلبٍ مُنكسرٍ، أو صادفَ ساعةً من ساعاتِ الإجابةِ كالأسحارِ وأدبارِ الصلواتِ فهو أحرى بالقبولِ، يروى عن لقمانَ أنه قال لابنه: "يا بني عوِّدْ لسانك الاستغفارَ فإن الله ساعاتٍ لا يَزُدُّ فيها سائلاً"، ولو قُدِّرَ أن ذنوبَ العبدِ تملأُ ما بين السماءِ والأرضِ ثم تابَ منها لَعَفَرَهَا اللهُ له، في الحديثِ القدسي يقول الله تبارك وتعالى: "يا ابنَ آدمَ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ، لو بلغتْ ذنوبُك عنانَ السماءِ ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ، إنك لو أتيتني بقرابِ الأرضِ خطايا ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرةً". فاللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها، دقها وجلها، وأولها وآخرها، وعلايتها وسرّها، ما علمنا منها وما لم نعلم.

عبدالله/ تب إلى الله واعزم أن لا تعود إلى الذنب، فإن عُدت فتب إلى الله ولو عُدت إلى ذنبك مئة مرة، فإنك لا تدري متى يأتيك الموت، ولأن يأتيك الموت تائباً نادماً خيراً لك من أن يأتيك وأنت مقيمٌ على المعصية، في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: "أذنب عبد ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، غفرت لِعبدي، ثم عادَ فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال الله تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، غفرت لِعبدي، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك"، قال العلماء: يعني ما دام على هذه الحال كلما أذنب ذنباً استغفر منه، فهذا ترغيب له في الاستغفار لا إذن له في الذنوب. (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله) نعم ومن يغفر الذنوب إلا الله، جاءت كالتاج على المُفْرَق، (ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) ... اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا .. يا أرحم الراحمين ..